

أصول وقواعد انتشار المذهب المالكي وعوامل انتشاره

أكانجي مصطفى عبد العزيز
رئيس المجمع الاسلامي الأكانجي
ساحل العاج

ملخص:

- 1- أصول المذهب المالكي من حيث تنوع مصادره المنحدرة من القرآن الكريم والسنة والاجماع والقياس والمصالح المرسلة وسد الذريعة وغيره
- 2- أسباب انتشار المذهب المالكي من حيث اعداد مدروسة للكوادرنشر المذهب تأليف الموطأ الانفتاح ورحابة الصدر الانصاف والعدل اقامة علاقة جيدة مع الجميع نشأة المذهب المذهب المالكي:

دروس وعبر
الأستاذ: مصطفى عبد العزيز أكانجي
رئيس المجمع

نبذة قصيرة عن ساحل العاج:

تقع ساحل العاج في أفريقيا الغربية، يحدها غربا: ليبيريا وغينيا كوناكري، وشمالا جمهورية مالي وبوركينا فاسو، وشرقا: جمهورية غانا، وتطل جنوبا: على المحيط الأطلنطي، ومساحتها: 322 462 كلم مربع، ويسكنها حوالي عشرون مليون نسمة، ونسبة المسلمين رسميا 45% وهي أكبر دولة في العالم مصدرة للبن والكافو، ومناخها استوائي.

تعريف بالمجمع الاسلامي الأكانجي:

هو قلعة اسلامية دعوية وتعليمية وصحية واقتصادية أنشئت عام 1995 م في أبيدجان العاصمة الاقتصادية، علي يد الشيخ: مصطفى عبد العزيز أكانجي ويضم المجمع: مسجدا جامعاً: (قسم خنساء للولادة – عيادة عامة- صيدلية داخلية- تطعيم- تحليل دم). مجموعة تعليمية: (ابتدائية- متوسطة- ثانوية- معهد عالي للتقنية والتدريب المهني) ويربو طلابها على ألف طالب وطالبة، وهي ذات ازدواجية المنهج (عربي فرنسي) مرخصة ومعترف بها من قبل وزارة التعليم ووزارة التقنية ووزارة الصحة.

مشاركة المجمع الاسلامي الأكانجي في ملتقى الجامعة الأفريقية بأدرار بالجزائر حول مذهب الامام مالك بن أنس رحمة الله عليه.

بموضوع: (أصول وقواعد المذهب المالكي وعوامل انتشاره في العالم وفي غرب أفريقيا السوداء).
لقد دخل الاسلام الى أفريقيا الغربية عن طريق التجار الذين قدموا اليها من بلاد المغرب العربي والسودان ونشروا الاسلام والمذهب المالكي ولا تكاد ترى مدرسة اسلامية عندنا الا ومنهجه يقوم على المذهب المالكي وقبل نصف عقد من الزمن بدأت المذاهب الأخرى تتوسع رقعتها، وكل ما جاء من مدينة رسول الله ينال قبولا شديدا لدى الأفارقة المسلمين احتراماً منقطع النظير لمقام رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، كما هو شأن كل مسلم غيور علي دينه، والمغاربة لهم الفضل في نشر المذهب المالكي كما أسلفنا عبر الكتيبات والكتب وعلى سبيل المثال:

كتاب الأخضري، تأليف عبد الرحمن الأخضري.
كتاب المقدمة العزوية، تأليف أبي الحسن علي المالكي الشاذلي.
كتاب الرسالة، تأليف بن أبي زيد عبد الرحمن القيرواني
كتاب العشماوي، تأليف عبد الباري العشماوي الرفاعي

ويجدد تجديد الشكر للجامعة الأفريقية بأدراك بالجزائر هذه المبادرة الطيبة والتي نأمل أن يتمخض عنها لمسات حديثة تواكب مستجدات العصر الحديث على جميع الأصعدة وتوجد لها حلول بمنهاج المذهب المالكي ونقول لمسؤولي الجامعة فامضوا قدما على درب الأجداد في نشر الفقه الاسلامي في العالم وفي أفريقيا بصفة خاصة والله معكم ولن يضيع أجر من أحسن عملا.

الامام مالك بن أنس لا يحدب التعصب المذهبي:

لقد ألقى الامام مالك دروسا في التعامل مع الفكر المغاير ودفن التعصب العمياء الذي يؤدي الى التناحر في أمور فرعية على رغم من اتفاقنا على الثابت، فترى مدارس الأئمة الأربعة مبنية على قواعد متغايرة وهي:

أن الامام مالك بنى فقهه على حفظ وصون الثابت، (أي على القرآن والسنة والاجماع وهو ما اجتمع عليه أهل المدينة، بحجة أن المدينة مهجر رسول الله، وبها نزلت آيات الحلال والحرام، وبها عاش الصحابة والتابعون، ويتضح جليا رحمك الله هذا التوجه في خطاب بعث به الامام مالك الى عالم مصر الامام الليث بن سعد الذي خالف عرف أهل المدينة في شأن الجمع بين العشاءين في ليلة مطيرة وفيما يلي نص الخطاب: اعلم رحمك الله أنه بلغني أنك تفتي بأشياء مخالفة لما عليه جماعة أهل المدينة وأنت في امامك وفضلك ومنزلتك في أهل بلدك ألم تسمع قول الله تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) سورة التوبة آية 100 ألم تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ان العلم ليأرزالي المدينة كما تفر الحية الى جحرها) فكيف تعمل بغير عمل أهل المدينة الى آخر الخطاب ويتقبل الامام الليث بصدر رحب ثم يشرح له بأن مطر بلده غزير في الشتاء، والجمع بين العشاءين فعله الصحابة الذين عاشوا في مصر ومنهم: بلال وعمر بن العاص والزبير وأبو الدرداء. وقد تفاهم الفقيهان موضوع اختلاف المناخ ثم التقيا في مناير علمية أخرى اخوة متحابين.

كما تباين وجهة نظر الجبلين في الفقه الاسلامي: الامام مالك والامام أبو حنيفة في عديد من المسائل مثل /

قضية الرأي والقياس والكلام فيما لم يقع أصلا وحمل حديث نبوي واحد على عدة معاني وماهية الاجماع والامام مالك يبوح رأيه المعاكس بصراحة وحب النصح والاقناع لأنه بنى مدرسته على الثوابت والسنة واجماع أهل المدينة تذا نرى أنه استعمل وسائل تحرير رسائل الى زملائه وأحيانا بالمشافهة اذا سنحت فرصة اللقاء بينهم في موسم الحج لاطهار الحق دون تمنى التغليب والتفضيح واليك سلمك الله جانبنا من نقاط الاختلاف وكيف عالج مالك الموضوع في: مناظرته الامام أبي حنيفة في الحج في حضور الليث عالم مصر في مسألة ايجاد حلول لما لم يقع بعد على سبيل الافتراض قال مالك:

ماذا تقول عن مسألة لم تقع لأننا لانخترع مسائل وهمية لكي لانجر الناس الى الجدل بل نتحدث عن الواقع، وأن القاعدة عنده: أن كل مسألة لا يبنينا عليها عمل فالكلام فيها من الجدل الذي نهينا عنه شرعا، وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: لا تشغلونا بأشياء لم تحدث، اشغلونا بما نحن فيه ولا نضيع وقتنا، وقال مالك لأب [حنيفة أنت تدخل الناس في الجدل ؟

وأبو حنيفة يجيب: يا مالك الأمر عندنا في العراق ليس كالوضع عندكم، يا مالك العراق عاصمة الخلافة وكل يوم يحدث جديد ولا بد من الاستعداد له حتي لا يتخبط الناس عند وقوعه، ويروى بأن للأبي حنيفة في فقهه مائة ألف اجابة لمالم يحدث أصلا. وفي مسألة الإجماع، يرى أبو حنيفة خلاف ما عليه مالك ودليله أن الصحابة تفرقوا في الأمصار وأفتوا في الوقائع التي عايشوها، ويصعب أن يكون اجماع أهل المدينة هو المعمول به فقط، ويخرج أبو حنيفة مائة معنى في حديث نبوي واحد ويبري مالك مبالغته في ذلك وحمل الحديث على معان لم يعرف في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم. والمهم تفهم كل وضع الآخر فحافظ مالك على مبدا مذهبه في الحفاظ على الثوابت ولم ينكر علي حنيفة مذهبه لأنه يعرف أوضاع الناس في العراق، كما حافظ أبو حنيفة على مدرسته وفي الأخير تبادلوا المحبة وتجديد النشاء والمحبة ونتيجة المناظرة:

الأمام أبو حنيفة يبدي انطباعه ويقول: ناظرت المئات من الرجال، ما رأيت أحدا أسرع في قول الحق من مالك، والله يا ليث لقد أحببته. ثم أرسل ابنه فيما بعد الى المدينة المنورة ليتعلم عند مالك فقهه، وصار يشاور مالك في المسائل الفقهية ويخرجا بحل موحد ويتبادلا الرسائل .

أما الامام مالك قال: والله يا ليث انه لفقه، ثم طلب كتب أبي حنيفة لينتفع به، وقبل المناظرة لم يكن عند مالك بأس أن يأذن لتلميذه الشافعي للسفر الي العراق لتلقى فقه أبي حنيفة، لأنه كان على جانب كبير من الانفتاح. هكذا علمنا مالك بأن الفقه هدفه التيسير والوثام والمحبة مع مراعاة مصالح الناس علي ضوء القرآن والسنة.

أما الامام الشافعي أنشأ علم أصول الفقه في مذهبه، صونا للطريقة العلمية في الاستنباط، كما أقام الامام أحمد بن حنبل مذهبه الثوابت، وكلهم متفقون على الثوابت، رغم اختلافهم في الفروع ن ولنرى ما يكن بعضهم لبعض من احترام وتقدير وتفاهم:

أبوحنيفة عن مالك: ناظرت المئات من الرجال، ما رأيت أحدا أسرع في قبول الحق من مالك، والله ياليت لقد أحببته.

مالك عن أبي حنيفة: والله ياليت أنه لفقيه

والشافعي عن مالك: مالك معلمي وأستاذي، ومنه تعلمنا العلم، وما أجد الأمن [عل] من

مالك، وجعلت مالكا حجة فيما بيني وبين الله.

أحمد بن حنبل عن مالك: فقدت مالك، فأخلف الله علي سفيان بن عيينة.

لقد أثنى الله علي عباده الذين أورتهم العلم وقال في سورة الروم: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال أيضا جل جلاله: (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الله والى رسوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم) سورة النساء آية 83 فتسابق العلماء الى التبحر في علم الفقه لينالوا هذا التشريف الالهي، الذي يقصد مصلحة الناس في حفظ الدين والعرض والنفس والعقل والمال، فأخرجت القرون الأولى أربع جبال راسيات في الفقه الاسلامي وهم الأئمة الأربعة ومحور حديثنا أصول الفقه المالكي وأسباب انتشاره وللخوض في هذا السياق من التحليل يتحتم التعريف بهذا الامام الجليل وتجشمه عناء كبيرا في طلب العلم ودوره الرائد في نشره وأسلوبه القويم والحكيم في المعاملة:

الامام مالك بن أنس مولده ورحلته العلمية:

ولد مالك بن أنس في المدينة المنورة في عهد الوليد بن عبد الملك الأموي عام 93 من الهجرة، وعاش 86 سنة وقيل 92 عاما وهو من أصل الموالي غير عربي وقيل بأنه من أصل اليمن، وكان جده وأبوه عالما ويضاف بأن والده كان نبالا ولم يخرج الامام من المدينة حتي توفي بها الا للحج أو العمرة فقط. وحفظ مالك القرآن الكريم في السن السابع من عمره، وهذا من حدة قوة ذاكرته وحفظ بعض الأحاديث وظل في هذا النطاق الة أن بلغ العاشرة من العمر، ولما لاحظ أنس أن ابنه مالك يميل الى التجاوز الفطرة جبل الله المراهقين عليها في حب اللعب، فكر الأب الغيور على دينه في أسلوب يقود ابنه الى الانصاف في اللعب والاندفاع في طلب العلم، فهدي الي اجراء مسابقة علمية بين مالك واخوانه الصغار ثم ألقى سؤال في الدين عليهم فأخفق مالك في الاجابة بينما أجاب اخوانه الصغار اجابة صحيحة وتلقي هو توبيخا لطيفا، أيقظ في وجدانه النشاط والحماس والاندفاع في مقاومة النقص العلمي للحصول علي التفوق يسمح به السبورة السوداء، وبدأ يفكر في المخرج، لأنه ذاق مرارة الرسوب ولا يريد العودة اليه وعاونته أمه الحنونة في هذه المرحلة الصعبة وقدمت له المشورة بتنازل عن أية فكرة أخرى، وذكرت لابنها محاسن العلم، فوافق مالك على ذلك، وقامت بتجهيزه، وقدمت له هدية تتمثل في لبس العلماء، وأشارت عليه بحضور مجلس ربيعة عالم المدينة، توجه مالك الى المسجد النبوي ويرافقه دعوة الوالدين له بالعلم وتعلم أدب ربيعة قبل علمه، ويروى بأن ربيعة كان عالما كبيرا يهتم بالأناقة في الملابس والمجلس.

وللامام مالك شيوخ وأساتذة منهم

ابن هرمرز:

أخذ مالك منه العلم بالمسجد النبوي، ولازمه في المسجد وفي بيته حتى كبر سن الأستاذ وفقد بصره ومالك يعونه في حاجاته، ويفضل مالك على غيره من تلاميذه، تسئل عن سر ذلك وأجاب قائلاً: أما أنا اليوم فقد ضعف بدني، وأخشى أن يكون قد ضعف عقلي، ولا يقبل مالك مني إلا عن قناعة بعد المجادلة بالحسنى، والاشارة تدل على أنه يقر بنجابه تلميذه مالك وذكائه الحاد وهو بذلك نال ثقة أستاذه.

نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

أخذ مالك منه علم عبد الله بن عمر وعلم أبيه عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما، وأخذ من نافع أيضا علم أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأن أستاذه كان في كنف بنتي تيم أحفاد أبي بكر فجمع مالك علوم هذه البيوت النيرة.

ابن الأشهب:

لازمه مالك وأخذ منه الحديث، وبعد سنوات اجتاز اختبار شفوي بنجاح في منزل أستاذه يوم العيد دون اللجوء الى كتابة يسمع عشرين حديثا من أستاذه ويستوعبه في جلسة واحدة وحينئذ قال له ابن الأشهب: يمالك أنت وعاء من أوعية العلم.

عائشة بنت سعد ابن أبي وقاص:

أخذ مالك من هذه المرأة الفقيهة العلم وذلك بايعاذ من أستاذه ابن الأشهب، وقد وصف له براعتها في الفقه.

جعفر الصادق:

أخذ مالك وهو سني العلم من هذا العالم الشيعي دون الذوبان أو حصول صدام فكري بينهما، وهذا يعلمنا مدى عقلية التسامح لدى الطرفين.

دروس وعبر في رحلة الإمام مالك لطلب العلم:

أولاً: للآباء دور فاعل في تربية الأبناء، وبحث مستقبل زاهر لهم في مجال التعليم أو التدريب المهني ودفعهم الي التوجه نحو ذلك واختيار أساليب تشوقهم الي اختيار ذلك الرأي دون اللجوء الي العنف معهم.

ثانياً: بعون الله يصنع المجد والعبقرية في مجال ما، ثم بالصبر والعزم والأدب الرفيع مع الوالدين والأستاذ قال تعالى (من جاهد فينا لنهدينهم سبلنا) فالانتقال من الجهل الي العلم الوافر أو من الحضيض الي العلو مطلب اسلامي .

ثالثاً: اذا اتفقنا علي الأصول يجب أن تمتد جسور الأخوة والتعاون والمحبة فيما بيننا وان اختلفنا في الفروع .

رابعاً: النساء شقائق الرجال في العلم والفقه والصلاح والتقوى وغيره.....

نشأة المذهب المالكي وتطوره:

جلس الامام مالك بن أنس للفتوى والقاء محاضرات ودروس في سن السابع عشرة من عمره، واختار الروضة مقراً لمدرسته في المسجد النبوي، وما جلس الا بعد حصوله علي اجازة سبعين عالماً له بذلك، ورسم لحلقته منهج علمي موزع في جدولين هما:
يلقى دروساً خاصة على تلاميذه المنتظمين، ليكونوا أقوى غد في العلم تكون لهم كفاءة عالية في ايجاد حلول فقهية لمشكلات المسلمين على ضوء الكتاب والسنة ثم بمنظور المذهب المالكي ليكونوا ورثة علمه.

كما يلقى دروساً عامة على الجمهور في الفقه، وتجمع الناس حوله ويستفيدون من غزارة علمه وهم ألوف من البشر ويتألفون من مختلف الطبقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وينحدرون من شتى البلدان ويمكن القول بأن الفقه المالكي عابر للقارات وخالق للعادات ونصنف جمهوره كما يلي:

الوجهاء: لقد حضر دروس الامام مالك بن أنس الخلفاء والأمراء ومنهم: الهادي وهارون رشيد والأمين والمامون وهم من أقوى خلفاء الدولة العباسية، ويخرجون من العراق قاصدا مدرسة الامام مالك في المدينة المنورة .

العلماء: حضر العلماء دروس الامام مالك، وقصدها بسفرهم من بلدانهم الي المدينة وفي

طليعتهم:

الامام أبوحنيفة جاء من العراق خصيصاً للاستفادة من دروس الامام مالك وسافر كل من يحيى وشبظون من الأندلس للاستماع الي الامام مالك في المدينة وعالم مصر الليث ابن سعد حضر دروس الامام مالك والعتيقي من فلسطين وأسد ابن فرات من تونس.

وقال أحد الخلفاء: تواضعنا لعلم مالك فانتفعنا به، وتواضع لنا علم سفيان ابن عيينة فلم ننتفع به أخذ جمهور المدرسة المالكية يزداد عدداً باطراد، ولم يعد فناء المسجد يسعهم، فاستعان الامام مالك فاستعان بفريق عمل ذا خبرة بالجنسيات، وقسموا الناس وفوجوا الناس تسهيلاً لدخولهم الدرس على النحو التالي:

ليدخل أهل المدينة.

ليدخل أهل الحجاز.

ليدخل أهل العراق.

ليدخل أهل الشام.

ليدخل أهل مصر.

ليدخل أهل الأندلس.

وظل الامام مالك بن أنس طوال سبعين عاماً يلقى دروسه والعدد يزداد يوماً بعد يوم، لقدترته على جمع الناس حول مذهبه، وكفائته العلمية الهائلة.

أصول المذهب المالكي:

القرآن الكريم

السنة النبوية الشريفة

الاجماع ويعنى ماجتمع عليه أهل المدينة. معالجة الواقع وترك ما سيقع لحين حدوثه ووضع قاعدة مفادها: كل مسألة لاينبنى عليها عمل فالكلام فيها من الجدل الذى نهينا عنها شرعاً، وأن عمر ابن الخطاب كان يقول: لا تشغلونا بأشياء لم تحدث اشغلونا بما نحن فيه .

مراعاة مصلحة الناس ووضع قاعدة تقول: فحيث المصلحة توجد الشريعة والنص التيسير ودليله:

قوله تعالى: وماجعل عليكم في الدين من حرج سورة الحج آية 78

وقوله: يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر

وحديث: المؤمن هين لين سهل

وحديث: ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما:

عوامل انتشار المذهب المالكي:

اعداد نخبة متعددة الجنسيات ومن مختلف البلدان والقارات اعدادا جيدة يؤهلهم القيام مدارس مالكية التيسير على الناس تعلقه الشديد بحب رسول الله وحسن الأدب مع الحديث النبوي، فحب رسول الله أحبه الناس في الأمصار. جمع مذهبه في كتاب سماه (الموطأ) ويقول: والله كابدت نفسى على العلم أربعين سنة حتى استقامت عدم الخروج على الأنظمة الحاكمة، وعدم تأييدها علي الباطل بل النصح والدعوة والارشاد بحكمة(سهل ممتنع).

انفتاحه على العالم: لم يمنع تلميذه الشافعي من السفر الى العراق ليتلمذ عند أبى حنيفة المغاير له في المذهب، انصافه وعدله: أقام الامام مالك علاقات ممتازة مع الجميع، ومع المخالفين له في المذهب وتفهم وضع كل بلد ولكنه حافظ على مذهبه الذى عايش مسائله وقال مقولته الشهيرة: العلم شجرة، أصلها بالمدينة وغصنها بالعراق، وثمرتها في مصر سلس في عبارته لذا يستعمل عبارات (لا يصح عندى، لا ينبغى، لا خير في هذا).

قوله: لا أدلأى

فضل الامام مالك:

يروى بأن التابعين والعلماء يؤكدون بأن النبي صلى الله عليه وسلم يقصد مالكا ابن أنس في حديثه (يوشك الناس أن يضربوا أكباد الابل من أجل العلم فلا يجدون الا عالم المدينة) وسمي بعالم المدينة وسمي أيضا بامام دار الهجرة، وتأتيكم هذه المشاركة المتواضعة من دولة فتيية في الاسلام، تمد يدها ليرتقي بها في عالم العلم والدعوة الى الله علي بصيرة. شكرا للجامعة الأفريقة العقيد أحمد دراية بأدرار